

في زمانِ الفُصَحَاءِ والبلغاءِ في الكلامِ كثيرةً، فأعجزَهم بالقرآنِ العظيمِ الذي أدرج فيه جميعُ العلومِ، كالعلمِ الإلهي^(١) والسيادةِ والإمارةِ والأخلاقِ والحلالِ والحرامِ والحكمةِ والتَّصوُّفِ والباطنِ والطبِّ والتاريخِ والقصةِ وباقِي العلومِ.

فالْمُعِجزَةُ على قسمَينِ: أحدهما: قد مضى زمانُه، كشقَّ القمرِ، والآخرُ: قد بقيَ بعده، كالقرآنِ العظيمِ.

[إثباتُ الكرامات]

وكذا كراماتُ العلماءِ العظامِ، كاستِخراجِ^(٢) مسائلِ المُعِضلاتِ والمُشكِّلاتِ، يعني: استنبطوها من آياتِ القرآنِ، بل من كُلِّ كلماتهِ، بل من كُلِّ حروفِهِ، وكذا من أحاديثِ الرسولِ عليه السَّلامُ، فإنَّه كَرَامَةٌ لَهُمْ^(٣)، فإنه لا يَتَيسَّرُ هذا إلَّا بنورِ العبادةِ والإلهامِ.

(١) وهو العِلمُ الذي تُطلَبُ فيه ماهيَّاتُ الأشياءِ، وموضوِّعُه: الوجودُ المُطلقُ، ومسائلُه: البحثُ عن أحوالِ الوجودِ من حيثُ هو وجودٌ. ويُقابِلُهُ العِلمُ الطبيعِيُّ، وهو الذي تُطلَبُ فيه كيفيَّاتُ الأشياءِ، وموضوِّعُه: الجسمُ، ومسائلُه: البحثُ عن أحوالِ الجسمِ من حيثُ هو جسمٌ. وانظر: «المِللُ والنَّحلُ» للشهرستاني (٥٧ / ٢).

(٢) في (خ) و(ش): «وهي استخراجٌ».

(٣) ي يريد: ما كان زائداً على المعتادِ، وإلا فاستخراجُ المسائلِ ولو كانت من المُعِضلاتِ والمُشكِّلاتِ جاريٌ على قوانينِ العلومِ، فلا يكون خارقاً للعادةِ ولا داخلاً في حدِّ الكراهةِ. وأما ما كان خارجاً عن طورِ هذه القوانينِ، لا بمعنى مخالفتهِ لقواعدِ العلومِ، بل بمعنى زياطيَّتهِ على ما تفيدهُ عادةً، فهو مُرادُ المُصنَّفِ رحمةَ اللهِ تعالى فيما يظهرُ.

ولو تأمَّلَ مُتأمَّلُ في صنيعِ أئمَّةِ المذاهبِ الفقهيةِ وأصحابِهم من دقَّةِ التأصيلِ وانضباطِ التفريعِ مع كثرةِ المسائلِ وتشعبِها، أو في تفُّن بعضِ الأئمَّةِ مع كثرةِ التصنيفِ وعمقِهِ، أو في إفرادِ بعضِ التأليفِ في آيةٍ أو حديثٍ مع الإتيانِ بالفوائدِ الباهرةِ، لرأى ما ذكرهُ المُصنَّفُ قريباً.

وكذلك كرامات الأولياء - أي: المشايخ - وآثارهم:

قد مضى بعضها كنداء عمر رضي الله عنه على المِنْبَر لأمير الجيش: يا سارية،
الجبل! تحذيرًا له من وراء الجبل^(١) من العَدُوّ فيه حين يُحارِبُ مع الكفار، وسَمِعَ
سارية كلامه مع بُعد المسافة، وبُعدُها يبلغ خمس مئة فَرَسَخ.

وقد بقي بعضها الآن، كقانونهم الحسنة في طريق الشرائع، كقوله عليه السلام:
«مَنْ سَنَ سُنًّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرٌ»^(٢) وأجر من عمل بعده إلى يوم القيمة»^(٣).

فِيمَنْ عَلَامَاتِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَذَهَّبَ الْمُعِجزَةُ الْبَاقِيَةُ مِنْ مُعِجزَاتِ رَسُولِ اللهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَذَهَّبَ الْبَاقِيَةُ مِنْ كَرَامَاتِ الْعُلَمَاءِ وَالْمَشَايِخِ، يَعْنِي: أَهْلُ آخِرِ الزَّمَانِ لَا يَأْخُذُونَ
أَعْمَالَهُمْ مُوافِقًا أَحْكَامَ الشَّرْعِ، وَلَا يَسْلُكُونَ مَسَالِكَ الْعُلَمَاءِ السَّابِقِينَ، وَالْمَشَايِخِ
السَّالِفِينَ.

ثُمَّ^(٤) اعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَتَمَ بَابَ النُّبُوَّةِ، وَلَكِنْ لَمْ يُغْلِقْ عَلَى عِبَادِهِ بَابَ
الوَلَايَةِ وَالْكَرَامَةِ، فَإِنَّ مَنْ تَحَصَّلَ عِلْمَ الشَّرَائِعِ وَعَمِيلَ بَظَاهِرِهِ وَبِوَاطِنِهِ وَلَمْ يَتُرُكْ
مِنْهَا دِقِيقَةً، فَقَدْ يَكُونُ بَاطِنُهُ مَحْلًا بِالْفَيْضِ وَالْإِلَهَامِ، فَلَا يَخْلُو قَلْبُهُ مِنِ الْوَلَايَةِ
وَالْكَرَامَةِ، أَظْهَرَهُمَا عَلَى النَّاسِ أَوْ لَمْ يُظْهِرْهُمَا^(٥). وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ عِلْمَ الشَّرَائِعِ ظَاهِرًا
وَبَاطِنًا فَلَيْسَ فِيهِ كَرَامَةٌ وَوَلَايَةٌ مُوجُودًا، فَلَوْ صَدَرَ مِنْهُ كَرَامَةٌ وَوَلَايَةٌ فَإِنَّهَا تَكُونُ مِنْ
الشَّيْطَانِ جَزْمًا.

(١) سقط من (أ) و(خ) و(ش): «من وراء الجبل».

(٢) كما في جميع النسخ، ويصح على تأويل: أجر ما سنه، والمعروف في رواية الحديث: «أجرها».

(٣) أخرجه مسلم (١٠١٧)، وبإثر الحديث رقم (٢٦٧٣)، من حديث جرير بن عبد الله.

(٤) قبلها في (أ): «فصل».

(٥) في (أ) و(خ) و(ش): «لم يظهر».

فإن قيل: ما الحِكمةُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ بَعْضَ عِبَادِهِ رَسُولًا وَنَبِيًّا وَغَنِيًّا، وَبَعْضَهُ فَقِيرًا ذَلِيلًا، وَبَعْضَهُ مُكْرَمًا عَزِيزًا، وَالحَالُ أَنَّهُمْ فِي الْعُبُودِيَّةِ سَوَاءٌ؟
قُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَاعِلٌ مُخْتَارٌ، يَفْعُلُ كَيْفَ^(١) يُشَاءُ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، وَلَا يُسَأَلُ عَمَّا يَفْعُلُ وَهُمْ يُسَأَلُونَ.

[بِشَارَاتُ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ بِالنَّبِيِّ ﷺ]

ثُمَّ اعْلَمْ بِأَنَّ الدَّلِيلَ الْواحِدَ مِنَ الدَّلَائِلِ الْكَثِيرَةِ عَلَى حَقِيقَةِ رَسُولِنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ:
هُوَ خَبْرُ كُلِّ رَسُولٍ فِي كِتَابِهِ، مِثَلًا: ذُكْرُ فِي التَّوْرَاةِ عَلَى لُغَةِ الْعِبْرَانِ^(٢): «أَنَا اللَّهُ الَّذِي أُرِيدُ أَنْ أُرِسِّلَ^(٣) رَسُولًا فِي آخِرِ الزَّمَانِ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، فَإِنَّهُ يَكُونُ صَاحِبَ الْكِتَابِ وَالسَّيْفِ، كَمَا كُنْتَ كَذَلِكَ فِي زَمَانِكَ هَذَا».

وَذُكْرٌ فِي الزَّبُورِ: «يَأْتِي مِنْ بَعْدِكَ رَسُولٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، فَإِنَّهُ يَكُونُ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ، حُكْمُهُ وَشَرْعُهُ غَالِبٌ فِي الْعَالَمِ، وَإِنَّهُ يَأْخُذُ سِيفَهُ وَيَقْهَرُ أَعْدَاءَهُ، وَهُوَ سَيِّدُ الْأَنَامِ، وَلِهِ الْغَيْرَةُ^(٤) الْكُبْرَى فِي دِينِ الإِسْلَامِ».

وَذُكْرٌ فِي الْإِنْجِيلِ: «يَا عِيسَى ابْنَ مَرِيمٍ، يَأْتِي مِنْ بَعْدِكَ رَسُولٌ اسْمُهُ أَحْمَدُ^(٥) مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الرُّسُلِ، وَمُفْرَقٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَيَبْقَى حُكْمُهُ وَشَرْعُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُحْكَمٍ تَنْزِيلِهِ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ﴾ [الْأَحْزَاب: ٤٠].

(١) فِي (أ): «كَيْفَ مَا»، وَفِي (ط): «مَا».

(٢) فِي جُمِيعِ النُّسُخِ: «الْعُمَرَانَ»، وَأَصْلَحَتْهُ بحسبِ السِّيَاقِ.

(٣) فِي (أ) وَ(ش) وَ(ل) وَ(ط): «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرِيدُ».

(٤) كَذَا فِي جُمِيعِ النُّسُخِ، وَلَيُنْظَرَ مَا الْمُرَادُ بِهَا؟

(٥) فِي (أ) وَ(ش) وَ(ل): «مُحَمَّدٌ»، وَفِي (ط): «أَحْمَدٌ وَمُحَمَّدٌ».

[خَتْمُ النُّبُوَّةِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ]

فُعِلِّمَ مِنْ هَذِهِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَتَمَّ دِينَ إِسْلَامٍ بِشَرِيعَتِهِ، وَبَيْنَ لِأَمْتِهِ مَا يَنْفَعُ وَمَا يَضُرُّ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ، وَلَهُذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكَمَّتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْ بَعْثَةِ الرَّسُولِ إِكْمَالُ الناقصِ، فَلَمْ يَقِنَ الناقصُ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ، فَلَمْ يُحْتَاجْ إِلَى إِرْسَالِ الرَّسُولِ بَعْدَهُ.

[الْحِكْمَةُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ]

فَإِنْ قِيلَ: مَا الْحِكْمَةُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ؟

قُلْنَا: لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الإِنْسَانَ، وَقَدَّرَ لَهُ الْبَقاءَ لِعُمُرِهِ، ثُمَّ جَعَلَ لَهُ أَسْبَاباً، وَهِيَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ وَاللِّبَاسُ وَالْمَسْكَنُ وَنَحْوُهَا، فَكَانَ الإِنْسَانُ حَرِيصاً بِسَبَبِ بَقَاءِ عُمُرِهِ إِلَى جُمِيعِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ، فَلَمْ يَقْنَعْ بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَتَجَاوَزَ بِالظُّلْمِ وَالغَصْبِ وَالسَّرقةِ وَالْقَتْلِ وَنَحْوِهَا، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْ صَاحِبِ الشَّرْعِ رَسُولَ اللَّهِ، فَيَمْنَعُهُمْ عَنِ هَذِهِ الْفَسَادَاتِ، وَيَجْعَلَ شَرْعَهُ وَحْكَمَهُ نِظَاماً فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي هَذَا الْعَالَمِ، فَلَا يَكُونُ هَذَا الْعَالَمُ خَرَاباً، وَيُرِيدُهُمْ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ مِنَ الْبَدَنِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ، لِيَسْتَحِقُّوْا بِهَا الْجَنَّةَ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ يَكُونُ الإِنْسَانُ فِي الْآخِرَةِ ضَائِعاً وَهَلَاكاً.

[الْحِكْمَةُ مِنْ خَلْقِ الإِنْسَانِ]

فَإِنْ قِيلَ: مَا الْحِكْمَةُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى هَذَا الإِنْسَانَ؟

قُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ مَظَاهِرَ الْجَمَالِ وَكَمَالِهِ^(١)، عَاقِلاً^(٢) لِيَعْرِفَ كَمَالَ

(١) فِي (أ) وَ(خ): «وَجَلَالَهُ».

(٢) زاد فِي (خ): «عَارِفًا».

قُدرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ فِي سُلْطَتِهِ، وَذَلِكَ الْمَظَهُرُ هُوَ الْإِنْسَانُ، وَلَهُذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «كُنْتُ كَنْزًا مُخْفِيًّا، فَأَحَبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ، فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ»^(١).

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، فَظَهَرَ مِنْهُ نُورٌ، فَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ النُّورِ حَقِيقَةً مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ مِنْ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ وَجُودَ الْكَائِنَاتِ، وَزُبْدَةً هَذِهِ الْكَائِنَاتِ هَذَا الْإِنْسَانُ، فَكَانَ لَهُ لَا بُدَّ مِنْ مَسْكَنٍ لِيَسْكُنَ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ جَسْمٌ، وَالْجَسْمُ لَا يَسْتَقِرُ إِلَّا عَلَى مَكَانٍ، فَخَلَقَ هَذِهِ الْأَرْضَ فِي الشَّكْلِ الْكُرُوِيِّ، فَخَلَقَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانَ.

وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ غِذَاءٍ، وَالغِذَاءُ لَا يَنْبُتُ مِنَ التُّرَابِ الْيَابِسِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْكُرُوِيَّةِ، فَاقْتَضَى أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا السَّمَاءَ، فَيُمْطِرُ عَلَيْهَا مَطَرًا، فَيُنْبِتَ مِنْهَا نَبَاتًا يَنْشُرُ بِمَا يَنْشُرُ^(٢) فِيهَا، فَخَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا السَّمَاءَ، فَنَزَّلَ مِنْهُ الْغَيْثُ عَلَى الْأَرْضِ، فَنَبَتَتْ^(٣)

(١) ليس بحديث نبوى، ولا يُعرف له سند صحيح ولا ضعيف، كما قال ابن تيمية والزرκشى وابن حجر، كما في «التذكرة في الأحاديث المشتهرة» للزرκشى (ص: ١٣٦)، و«المقاديد الحسنة» للسخاوى (ص: ٣٢٧) برقم (٨٣٨)، و«الدرر المتناثرة» للسيوطى (ص: ١٦٣).

وقال علي القارى في «الأسرار المرفوعة» (ص: ٢٧٣) برقم (٣٥٣): «لَكِنَّ مَعْنَاهُ صَحِيحٌ مُسْتَقَدٌ» من قوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ لِلْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا يَعْبُدُونِ» [الذاريات: ٥٦]، أي: ليعرفون، كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما، ولا يخفى أنه لا يلزم من صحة معناه تصحيح نسبته إلى النبي ﷺ.

(٢) في (أ) و(ش): «ينشف بمائه»، وفي (خ): «ينشف نمائه»، وفي (ط): «ينشف بما»، والمثبت من نسخة جامعة الملك سعود - وهي نسخة لم أعتمدتها في التحقيق، ولكنني استعنت بها في المُشكِّلات -، وهي أقربها للصواب، أي: ينشق النبات بماء المطر في الأرض، وإن كان في وصف النبات بالانشقاق غرابة، ولذا أفادنى شيخنا الأستاذ المحقق الدكتور عبد الحكيم الأئيس احتمال أن يكون صوابها: «يَتَسْقُ نِمَاوَه».

(٣) في جميع النسخ: «فينبت»، والمثبت من (ط).

منه النباتات، فحصل منه أنواع الأطعمة، فخلق عليها الإنسان يأكل من تلك الأطعمة.

فحينئذ بعضه يشكّر لربّه وينقاد لأوامره ثم يطيعه ويعبده بالإخلاص، فيجب^(١) له مكان شريف يضيفه الله تعالى بأنواع نعمته، ويتجلى عليه بكشف جماله، فاقتضى أن يخلق الله تعالى الجنة.

وبعضه ينكر^(٢) لربّه ويترك عبادته ويعصيه فيما أمره، فيجب له مكان قبيح يعذبه الله تعالى فيه بأنواع عقابه، ويذللّه بخدلانه، فلزم أن يخلق الله تعالى له جهنّم.

فإذا كان هذه المذكورات من الأرض والسماء والجنة والنار مخلوقة على هذا الترتيب، فاقتضى أن يخلق الله تعالى لهنّ خداماً من الملائكة، فخلق الله تعالى الملائكة في السماوات والأرض والجنة والنار، وهم لا يعصون الله تعالى فيما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

فالله تعالى فعل هذه الأمور والمصالح كلّها لأجل هذا الإنسان، فوجب عليه أن يطيعه وينقاد أمره ويتّهي عنّنه، ويجد لذة السعادة الأبديّة في دار بقائه^(٣)، ولهذا قال عليه السلام: «مَنِ ادْعَى الْجَنَّةَ وَلَمْ يَتَّهِ عَنْ حِمَارِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ فِي دَعْوَاهُ كَاذِبٌ»^(٤)، ومن لم يكن في دعوه

(١) أي: نظراً إلى حكمته تعالى، وإن كان تركه جائزأً عقلاً في نفسه، إلا أنه تعالى لا يتركه بمقتضى حكمته، فيكون فعله واجباً من الله تعالى، كما يقول الماتريديّة، لأنّه تعالى لا يتركه بمقتضى قبحه وعلمه بقبحه، فيكون واجباً على الله تعالى، كما يقول المعتزلة.

(٢) في (ل): «يُكفر»، والمعنى واحد.

(٣) في (ل): «البقاء»، وفي (خ): «عقابه»، والمعنى واحد.

(٤) لم أقف عليه مرفوعاً، وإنما أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٧٥) بإسناده إلى حاتم الأصم، =

صادِقاً فِإِنَّه يَسْتَحْقُ سَخْطَ الله وَغَضَبَهُ، وَأَهْلَكَ نَفْسَهُ بِالعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

[رتبة الأولياء دون رتبة الأنبياء]

وذكر في «شرح العقائد»: ((لا يُلْعُنُ ولِيٌّ درجة الأنبياء عليهم السَّلام) لأنَّ الأنبياء مَعْصومونَ مَأْمُونُونَ عَنْ خَوْفِ الْخَاتِمَةِ، مُكَرَّمُونَ بِالْوَحْيِ وَمُشَاهَدَةِ الْمَلَكِ، مَأْمُورُونَ بِتَبْلِيغِ الْأَحْكَامِ وَإِرْشادِ الْأَنَامِ، بَعْدَ الْاِتِّصَافِ بِكَمَالَاتِ الْأُولَيَاءِ، فَمَا نُقَلَّ عَنْ بَعْضِ الْكَرَامَيَّةِ مِنْ جُوازِ كُونِ الْوَلِيِّ أَفْضَلَ مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُفُرٌ وَضَلَالٌ.

(ولا يَصِلُّ الْعَبْدُ) مَا دَامَ عَاقِلًاً بِالْغَاَ (إِلَى حِيثُ يَسْقُطُ عَنِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ) لِعُمُومِ الْخِطَابَاتِ الْوَارِدَةِ فِي التَّكَالِيفِ وَإِجْمَاعِ الْمُجَتَهِدِينَ عَلَى ذَلِكَ.

وَذَهَبَ بَعْضُ الْمُبَاحِيْنَ^(١) إِلَى أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا بَلَغَ غَايَةَ الْمَحَبَّةِ وَصَفَا قَلْبُهُ سَقْطًا عَنِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ بِارْتِكَابِ الْكَبَائِرِ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ يَسْقُطُ عَنِ الْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ، وَتَكُونُ عِبَادَتُهُ التَّفَكُّرُ^(٢)، وَهَذَا كُفُرٌ وَضَلَالٌ، فَإِنَّ أَكْمَلَ النَّاسِ فِي الْمَحَبَّةِ وَالْإِيمَانِ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، خَصْوَصًا حَبِيبُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَعَ أَنَّ التَّكَالِيفَ فِي حَقِّهِمْ أَتْمُ وَأَكْمَلُ.

= الزاهد القدوة الرَّبَّانِي (ت ٢٣٧)، رحمه الله تعالى، قال: «مَنِ ادَّعَى ثَلَاثًا بِغَيْرِ ثَلَاثٍ فَهُوَ كَذَابٌ: مَنِ ادَّعَى حُبَّ اللَّهِ بِغَيْرِ وَرَعٍ عنِ مَحَارِمِهِ فَهُوَ كَذَابٌ، وَمَنِ ادَّعَى حُبَّ الْجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ إِنْفَاقٍ مَالِهِ فَهُوَ كَذَابٌ، وَمَنِ ادَّعَى حُبَّ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ حُبِّ الْفُقَرَاءِ فَهُوَ كَذَابٌ».

(١) كذا في (خ) و(ش)، وفي «شرح العقائد»: «الإباحيين»، وهو أكثر استعمالاً.

(٢) من قوله: «كفر وضلال» قبل عدة أسطر إلى هنا، سقط من (أ) و(ل).

وأمّا قوله عليه السلام: «إذا أحبَّ اللَّهُ تَعَالَى عَبْدًا لَمْ يَضُرَّهُ ذَنْبٌ»^(١)، فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الذُّنُوبِ فَلَمْ يَلْحَقْهُ ضَرَرُهَا»^(٢).

[تفضيل خواص البشر على خواص الملائكة]

واعلم أنَّ رُسُلَ الْبَشَرِ أَفْضَلُ مِنْ رُسُلِ الْمَلَائِكَةِ^(٣)، لِأَنَّ أَجْسَامَ الْمَلَائِكَةِ أَجْسَامٌ لطِيفَةٌ، لِأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ مِنَ الرُّوحِ الْمُجَرَّدِ، وَالرُّوحُ الْمُجَرَّدُ مِنْ خَاصَّةٍ طَبَيْعَتِهِ أَنْ يَقْتَضِيَ الْعِبَادَةَ وَالطَّاعَةَ، وَأَمَّا أَجْسَامُ رُسُلِ الْبَشَرِ أَجْسَامٌ كَثِيفَةٌ، لِأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ مِنَ الْعَنَاصِيرِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي تُرَكَّبُ مِنْهَا الْأَخْلَاطُ الْأَرْبَعُ الْمُخْتَلِفَةُ، فَتَقْتَضِي طَبَيْعَتِهِمُ الْحِدَّةَ وَالْكُدُورَةَ وَالْمَيْلَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصَيَانَ، إِلَّا أَنَّهُمْ بَعْدَ ابْتِلَاءِ أَبْدَانِهِمْ بِهَذِهِ الْكُدُورَةِ وَكُونِهِمْ تَقَاضِيَ^(٤) أَنفُسِهِمْ مَائِنَةً مِنَ الْعِبَادَاتِ اتَّبَعُوا الْأَفْعَالَ الرُّوْحَانِيَّةَ، وَتَرَكُوا الْأَفْعَالَ النَّفْسَانِيَّةَ، يَعْنِي: اخْتَارُوا اللَّذَّةَ الْبَاقِيَّةَ عَلَى اللَّذَّةِ الْفَانِيَّةِ، فَعَمِلُوا الْعَمَلَ

(١) أخرجه القشيري في «الرسالة» (ص: ٢٠٧) من حديث أنس بن مالك، وفي إسناده جماعةٌ لم يُعرفُ لهم.

وأخرجه أبو إسحاق الختلي في «المحبة لله» برقم (١٣٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/٣١٨) عن الشعبي - أحد أئمة التابعين - موقوفاً عليه، وإسناده صحيح.

وقال علي القاري في «فرائد القلائد على أحاديث شرح العقائد» (٢/٣٩٥) من «مجموع رسائله»: «ورد في معناه ما رواه الإمام أحمد [في «مسنده» برقم (١١٣٣٨)] وابن حبان [في «صححه» برقم (٣٦٨)] عن أبي سعيد مرفوعاً: إنَّ اللَّهَ إِذَا رَضِيَ عَنِ الْعَبْدِ أَثْنَيْ عَلَيْهِ بَسْبُعَةٍ أَصْنَافٍ مِنَ الْخَيْرِ لَمْ يَعْمَلْهُ، وَإِذَا سَخَطَ عَلَى الْعَبْدِ أَثْنَيْ عَلَيْهِ بَسْبُعَةٍ أَصْنَافٍ مِنَ الشَّرِّ لَمْ يَعْمَلْهُ»، وفي إسناده ضعف يسير.

(٢) «شرح العقائد النسفية» للتفتازاني (ص: ١٤٧ - ١٤٨)، وما بين هلالين هو متنه.

(٣) في (ش) و(ل): «الملك»، والمعنى واحد.

(٤) كما في جميع النسخ، ولعل صوابه: «اقتضاء»، والله أعلم.

الصالح، فهذا مع كثرة المَوَانع أشَقُّ جدًا من عبادة الملائكة، فلزِمَ أن تكون مرتبتهم أفضل من مرتبة الملائكة، ولهذا قال عليه السَّلام: «أَجْرُكَ عَلَى قَدْرِ تَعَبِّكِ»^(١)، وقال عليه السَّلام: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَحْمَزُهَا»^(٢)، أي: أشَقُّها.

[أنواع خوارق العادة]

واعلم أنَّ المُعِجزَةَ هي الأمْرُ الْخَارِقُ للعادة، كتحصيل العلوم الدينية والدنيوية بلا تعليمٍ فردٍ من أفراد الإنسان، والإخبار عن الغائب بالوحي، وكجعل العصا في يده ثعباناً، أو إحياء الموتى في وقت الحاجة، أو إخراج الماء من الحجر، أو تكليم الجمادات، أو غير ذلك.

(١) أخرج البخاري (١٧٨٧)، ومسلم (١٧٨٧) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «يا رسول الله، يصدُّ الناس بنسُكين وأصدُّر بنسُك؟» فقيل لها: «انتظري، فإذا ظهرت فاخُرجي إلى التنعيم فأهلي، ثم ائطينا بمكانكِذا، ولكنها على قدر نفقتِك أو نصبيك». وذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦١١ / ٣) أنَّ في بعض الروايات: «على قدر نصبيك أو على قدر تعبك». وترجمَ عليه البخاري بقوله: «باب أجر العمرة على قدر النصب».

(٢) ذكره ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (٤٤٠ / ١)، مادة (حمز) فقال: «في حديث ابن عباس: «سُئلَ رسول الله ﷺ: أيُّ الأَعْمَالْ أَفْضَلْ؟» فَقَالَ: أَحْمَزُهَا» أي: أقواها وأشدُّها. قلت: لكن فيه وَهُمْ، والصوابُ عن ابن عباس من قوله، فقد ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام في «غريب الحديث» (٢٤٨ - ٢٤٩) فقال: «في حديث ابن عباس: أنه سُئل: أيُّ الأَعْمَالْ أَفْضَلْ؟» فقال: أَحْمَزُهَا. يُروى هذا عن ابن حُرَيْجَ عَمَّن يُحَدِّثُهُ عن ابن عباس، فقوله: «سُئل» ظاهره أنَّ المسؤول هو ابن عباس، وبه صرَّح ابن قتيبة في «غريب الحديث» (٢٧٠ / ١)، والزمخشري في «الفائق» (٣١٩ / ١)، وابن الجوزي في «غريب الحديث» (٢٤٢ / ١).

وعليه، فهذا الموقوفُ على ابن عباس هو أصلُ هذا الحديث، وبه يتتفق قولُ ابن القيم في «مدارج السالكين» (١٠٦ / ١): إنه «لا أصل له»، ونقله عنه علي القاري في «المصنوع» (ص: ٥٧) برقم (٣٣)، إلا أن يكون مراده أصلًا مرفوعاً.

ولو ظهرت علامةً من هذه العلاماتِ من نبيٍّ يدّعى النبوة يُقال لها: معجزةً وآية، ولو ظهرت من ولديٍّ يُقال لها: كرامةً وولاية.

والكرامة حقيقة ثابتُ، بدليلِ وقوعِها من الأصحابِ رضيَ اللهُ عنهم، كما أنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنه قال على المِنْبَرِ لأميرِ الجيش: يا سارِيُّ الجبلَ الجبلَ! تحذيرًا له من العدو في الجبل، كما مرَّ.

ولو ظهرت علامةً من هذه العلاماتِ من شقيٍّ يُقال لها: استدراج، وهو أن يجعلَ اللهُ تعالى جميعَ حاجتهِ عنده مقبولةً من جهةِ دُنياه في عمرِه؛ ليُعذبه يومَ القيمة عذاباً شديداً. فمنْ لم يكنْ عملُ^(١) من أعمالِه موافقاً لشريعةِ نبيٍّ فادعِي لنفسِه كرامةً وولايةً فقد عُلِمَ أنه ليسَ بوليٍّ، بل أنه مُراءٌ فاسقٌ كاذب.

[أفضليةُ رسولنا ﷺ]

واعلمُ أنَّ رسولَنا عليه السَّلَامُ أفضلُ من جميعِ الرُّسُلِ والأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلَامُ من وجوهِ:

الأول: قيلَ في شأنِه: «لَوْلَاكَ لَوْلَاكَ، لَمَّا خَلَقْتُ الْأَفْلَاكَ»^(٢)، «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ

(١) في (خ) و(ش) و(ل): «عمله».

(٢) ذكره الصَّاغانيُّ في «الموضوعات» (ص: ٥٢) برقم (٧٨)، ونقله عنه علي القاري في «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» (ص: ١٥٠) برقم (٢٥٥)، وفي «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» (ص: ٢٩٥) برقم (٣٨٥)، وزاد في الأخير فقال: «لكنَّ معناه صحيح، فقد روى الدَّيْلَمِيُّ [في «الفردوس» (٤٢٧ / ٥)] عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «أتاني جبريلٌ فقال: يا محمد، لو لاك ما خلقت الجنة، ولو لاك ما خلقت النار»، وفي رواية ابن عساكر [في «تاريخ دمشق» (٥١٨ / ٣)] من حديث سلمان: لو لاك ما خلقت الدنيا».

قلت: لكنهما واهيان، أما الأول فتفردُ الدَّيْلَمِيُّ به قرينةً كافيةً في الدلالة على وهائه، وأما الثاني =